

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحقيقة والخيال في أخبار طسم وجديس

كتبه د. عبدالعزيز بن سعد الدغيث

١٤٤٣/٠٦/٢٤ هـ

إن من الأمور التي تعاب على المهتم بالتاريخ أن يغفل عن تاريخ بلاده التي يعيش فيها وينهل من خيراتها، وقد استوفى الباحثون معظم الفترات الزمنية لجزيرة العرب عموماً وبلاد اليمامة خصوصاً. لكن تاريخها في الجاهلية لا يزال مجهولاً لدى الكثير، ولذا رغبت في المشاركة بالكتابة عن جزئية من التاريخ الجاهلي لليمامة بجمع ما قاله المؤرخون عن طسم وجديس لطرافتها والاعتبار بها.

فيذكر المؤرخون أن منطقة اليمامة كانت مسكونة من قبيلتين قويتين من العرب البائدة وهما قبيلة طسم والتي كانت تسكن بين وادي الوتر= البطحاء ووادي حنيفة وقبيلة جديس والتي كانت تسكن الخضرمة وهي الخرج حالياً^١.

واختلفوا في نسبهم على أقوال:

- ١- أن طسماً وجديساً ابنا لإرم بن سام بن نوح، كما عند أبي حنيفة الدينوري^٢.
 - ٢- وبعضهم يضيف عابراً كما عند الطبري أو عاثراً كما عند ابن كثير - إلا أنه في البداية والنهاية وافق الطبري - أو عاداً كما عند القرطبي قبل إرم، وأنهما أخوان لثمود^٣.
 - ٣- أنهما من ولد لاوذ بن إرم بن لاوذ بن سام بن نوح^٤.
- وأنهم كانوا بشراً كثيراً يملأون عمان والبحرين واليمامة، و آخر ملك لهم يدعى عمليقا، أو عملوقاً، ويضيف ياقوا فيقول: هو عمليق بن حياش^٥. وذكروا ظلمه واستباحته لأعراض جديس وأموالهم. مما سبب سخط جديس وقتلهم لهذا الملك الظالم على يد الأسود بن غفار، وواصلوا حملتهم حتى أبادوا طسماً كلها ولم يبق منهم إلا رجل يقال له رياح أو رياح بن مرة، والذي مضى إلى ملك اليمن يستنصره^٦. وتفصيل قصته أن ملكهم كان جائراً ظلوماً، وبلغ من عتوه أن أمر ألا تزف امرأة من جديس إلى زوجها إلا بدؤوه بها، فمكثوا بذلك دهنراً طويلاً.

١ صفة جزيرة العرب / ١٤٠ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ / ١٨، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام / ٣٣٥/١.

٢ الأخبار الطوال / ٢٠.

٣ تفسير الطبري / ٢٢٤/٨، تفسير ابن كثير / ٢٢٨/٢، تفسير القرطبي / ٢٣٨/٧ في تفسير آية ٧٣ من سورة الأعراف، البداية والنهاية / ١٣٠/١.

٤ معجم البلدان رسم اليمامة.

٥ المنتظم / ٧٥/٢.

٦ معجم البلدان رسم اليمامة.

٧ الأخبار الطوال / ٢٠.

وسبب هذا القرار الجائر فيما ذكره ياقوت انه احتكم إليه رجل وامرأة في مولود بينهما، فقال الزوج واسمه قابس - وفي رواية ماشق - : أيها الملك أعطيتها المهر كاملاً ولم أصب منها طائلاً إلا ولداً جاهلاً، فافعل ما كنت فاعلاً! فقالت الزوجة واسمها هزيمة: أيها الملك هذا ولدي حملته تسعاً ووضعته دفعاً وأرضعته شبعاً، ولم أنل منه نفعاً، حتى إذا تمت فصاله واشتدت أوصاله أراد زوجي أخذه كرهاً وتركه ولهي! فقال الزوج: إني حملته قبل أن تحمله وكفلت أمه قبل أن تكفله! فقالت الزوجة: إنه أيها الملك حمله خفاً وأنا حملته ثقلاً، ووضعته شهوةً وأنا وضعته كرهاً! فلما رأى عمليق متانة حجتها تحير، ورأى أن يجعل الغلام في جملة غلمانه حتى يتبين له الرأي فيه، فقالت له هزيمة:

أتينا أبا طسمٍ ليحكم بيننا فأظهر حكماً في هزيمة ظالماً

ندمت وكم أندم وأنى بعثرتي وأصبح بعلي في الحكومة نادماً

فلما سمع عمليق ذلك غضب على نساء جديس، وأمر أن لا تزوج بكر من نساء جديس حتى تدخل عليه فيكون هو مفترعها! فلقوا من ذلك ذلاً^٨.

ولها رواية أخرى وهي:

أتينا أبا طسمٍ ليحكم بيننا فأنفذ حكماً في هزيمة ظالماً

لعمري لقد حكمت لا متورعاً ولا كنت فيما تبرم الحكم عالماً

ندمت ولم أندم وأنى بعثرتي وأصبح بعلي في الحكومة نادماً

ثم إن رجلاً من جديس تزوج عفيفة بنت غفار أخت الأسود بن غفار عظيم جديس وسيدها، فلما كانت ليلة الزفاف أخرجت لتحمل إلى الملك والقينات حولها يضرين بمعازفهن ويقلن:

ابدي بعمليق وقومي واركبي وبادري الصبح بأمرٍ معجب!

فسوف تلقين الذي لم تطلي وما لبكرٍ دونه من مهرب!

فأدخلت على عمليق فامتنعت عليه، ثم غلبها، فخرجت إلى قومها في دمائها رافعة ثوبها عن عورتها، وهي تقول:

أيجمل أن يؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكم عدد الرَّمَلِ؟

فَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نَقْرُ عَلَى الدُّلِّ

فَبَعْدًا لِبَعْلِ لَيْسَ فِيهِ حَمِيَّةٌ وَيَخْتَالُ يَمْشِي مِشْيَةَ الرَّجُلِ الْفَحْلِ

فدبّوا إليهم بالصّوارم والقنا وكلّ حسامٍ محدث الأمر بالصّقل
ولا تجزعوا للحرب قومي فإنّما يقوم رجالٌ للرجال على رجل! ٩

ولها رواية أخرى قريبة منها ولكنها أتم وهي:

أُحْمَلُ ما يُوْتى إلى فتياتكم وَأَنْتُمْ رِجالٌ فيكم عدد النملِ
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة جَهارةً وزفت في النساء إلى بعل
وَلَوْ أَنّا كُنّا رِجالاً وكنتم نِساءً لكانّا لا نقرّ بذا الفعلِ
فَموتوا كِراماً أو أَميتوا عدوكم وَدبّوا لِنارِ الحربِ بالحطبِ الجزلِ
وَإِلّا فَخَلّوا بَطَنها وتحمّلوا إلى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزلِ
فللبين خيرٌ من تماذٍ على أذى وللموت خيرٌ من مقامٍ على الذلِّ
وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغضبوا بعدَ هذه فَكونوا نِساءً لا تعبٌ من الكحلِ
وَدونكم طيب العروسِ فإنّما خُلقتم لأثوابِ العروس وللنسلِ
فَبُعداً وسُخفاً للذي ليس دافعاً وَيختال يمشي بيننا مشية الفحلِ

ونسبت الأبيات لهزيمة الجديسية، المتقدم ذكرها. وفي البدء والتاريخ أن عفيرة قالت:

لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس^{١٠}

وزاد بعض الرواة:

يرضى بهذا يا لقومي حرّ أهدى وقد أعطى وسيق المهرُ
لأخذة الموت كذا لنفسه خيرٌ من أن يفعل ذا بعريسه

وابن الجوزي يذكر أن الأسود بن غفار قال لرؤساء قومه قد ترون ما نحن فيه من العار والذل الذي ينبغي للكلاب أن تعافه وتمتعض منه فأطيعوني فإني أدعوكم إلى عز الدهر ونفي الذل قالوا وما ذلك قال إني صانع للملك وقومه طعاما فإذا جاءوا نهضنا إليهم بأسيا فأنفرد به فأقتله وليجهز كل رجل منكم على جليسه

فأجابوه إلى ذلك وأجمع رأيهم عليه فأعد طعاما وأمر قومه فانتضوا سيوفهم ودفنوها في الرمل وقال إذا أتاكم القوم يرفلون في حللمهم فخذوا سيوفهم ثم شدوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ثم اقتلوا الرؤساء فإنكم إذا قتلتم الرؤساء لم تكن السفلة شيئا ففعلوا ذلك^{١١}.

١٩ الأخبار الطوال / ٢٠، مع دمج بعض الأبيات من معجم البلدان رسم اليمامة.

١٠ البدء والتاريخ ٢٨/٣.

فحميت جديس، واغتالوا عملياً على غرة، وإمامهم الأسود بن غفار يرتجز، ويقول:

يا لَيْلَةً ما لَيْلَةُ العَروسِ
جاءت تَمَشَّى بِدَمِ جَميسِ
يا طَسْمُ ما لا قَيْتِ مِن جَدِيسِ
إحدى لِياليكِ فَهَيْسِ هَيْسِ

فأبادوا طسماً، فلم يفلت منهم إلا رجل يقال له، رياح أو رياح بن مرة، فإنه مضى على وجهه حتى أتى ملك اليمن وهو معسكر في جنوده بنجران، واختلفوا في اسمه:

- فقال أبو حنيفة الدينوري: إن اسمه ذو جيشان،
- وفي البدء والتاريخ أنه استنجد بملك اليمن وهو ذو غسان بن تبع الحميري، وقال في موضع آخر: لقب حسان هذا ذو جيشان، فلعل الصواب حسان بدلا من غسان وهو موافق لما في المنتظم والله أعلم^{١٢}.

- ونسبه ابن الجوزي فقال: هو تبع بن تبع بن أسعد أبي كرب بن ملكي كرب بن تبع وهو أبو تبع الأصغر بن حسان الذي يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة وكسى الكعبة^{١٣}.

فمثل الأسود بين يديه، وقال: عبيدك ورعيتك قد اعتدى علينا جديس ثم قال:

أجبنِي إلى قومِ دعونا لغدرهم
إلى قتلهم فيها لك الأجر
فإنَّك لن تسمع بيومٍ ولن ترى
كيوم أباد الحَيَّ طسماً به المكر
أتيناهم في أزرنا ونعالنا
علينا الملاء الحمر والحلل الخضر
بصرنا طعوماً بالعراء وطعمةً
ينازع فينا الطَّير والدَّئب والنَّمْر^١

فقال الملك: كم بيننا وبينهم؟ قال: ثلاث. فقال من حضره: كذب، أيها الملك، بينك وبين القوم عشرون ليلة، فأمر جنوده بالمسير نحو اليمامة،

وكانت في جديس جارية زرقاء يقال لها اليمامة وبها سميت اليمامة وكانت كاهنة تبصر الراكب من مسيرة يوم ويقال من مسيرة ثلاث.

قال ابن الجوزي: فلما كان من اليمامة على ثلاث قال له رياح أبيت اللعن إن لي اختا متزوجة في جديس يقال لها اليمامة ليس على وجه الأرض أبصر منها إنها لتبصر الراكب من مسيرة ثلاث وأنا أخاف أن تنذر القوم بك فمر أصحابك فليقلع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهي في يده

١١ المنتظم ٧٥/٢.

١٢ البدء والتاريخ ٢٩، ١٧٨، المنتظم ٥١/٢.

١٣ المنتظم ٧٦/٢.

١٤ الأخبار الطوال / ٢٠، مع دمج بعض الأبيات من معجم البلدان رسم اليمامة.

فخاف الجيش أن تبصرهم اليمامة فتخبر القوم بهم فقطعوا الشجر وجعل كل رجل بين يديه شجرة
يمشي خلفها يستتر بها عن اليمامة ونظرت اليمامة فرأت الشجر فنادت يآل جديس سارت إليكم الشجر
أو أتتكم حمير قالوا وما ذاك قالت أرى رجلا في يده كتف يأكلها أو نعل يخصصها فكذبوها. فزعموا أنها
أنشأت تقول:

خُذُوا جِذَارَكُمْ يَا قَوْمٌ يَنْفَعُكُمْ فَلَيْسَ مَا قَدْ أَرَى بِالْأَمْرِ يَحْتَقِرُ
إِنِّي أَرَى شَجْرًا مِنْ خَلْفِهَا بِشْرٌ وَكَيْفَ تَجْتَمِعُ الْأَشْجَارُ وَالْبَشْرُ^١
ثُورُوا بِأَجْمَعِكُمْ فِي وَجْهِ أَوْلِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَعْلَمُوا ظَفْرُ
ضَمُّوا طَوَائِفِكُمْ مِنْ قَبْلِ دَاهِيَةٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُخْشَى وَتَنْتَظَرُ
فَغَوَّروا كُلَّ مَاءٍ قَبْلَ ثَالِثَةٍ فَلَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ وَرَدٌّ وَلَا صَدْرُ
وَعَاجِلُوا الْقَوْمَ عِنْدَ اللَّيْلِ إِذْ رَقَدُوا وَلَا تَخَافُوا لَهُمْ حَرْبًا وَإِنْ كَثُرُوا

فلما دهمهم حسان قال لها: ماذا رأيت؟ قالت: الشجر خلفها بشر! فأمر بقلع عينيها وصلبها على باب
جو، وكانت المدينة قبل هذا تسمى جواً، فسمها تبع اليمامة وقال:

وسميت جواً باليمامة بعدما تركت عيوناً باليمامة هملاً
نزعت بها عيني فتاة بصيرة رعاماً ولم أحفل بذلك محفلاً
تركت جديساً كالحصيد مطرِحاً وسقت نساء القوم سوقاً معجلاً
أدنت جديساً دين طسم بفعلها ولم أك لولا فعلها ذاك أفعلاً
وقلت خذيها يا جديس بأختها! وأنت لعمرى كنت في الظلم أولاً!
فلا تدع جواً ما بقيت بإسمها ولكنها تدعى اليمامة مقبلاً^١

فصبحتهم الخيل فقتلتهم وأقصتهم وانقضى أمر جديس وطسم.

قال ابن الجوزي: وبنظر هذه المرأة يضرب المثل وكانت زرقاء اليمامة قد نظرت إلى سرب من حمام طائر
فإذا فيه ست وستون حمامة وعندها حمامه واحدة فقالت

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه

ونصفه قديه تم الحمام ميه^{١٧}

١٥ وبيروى:

لأمر اجتمع الأقوام والشجر

إني أرى شجراً من خلفها بشر

١٦ آثار البلاد وأخبار العباد للقرظيني / ١٣١-١٣٤.

وزعموا أنها قالت:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنَصِفُهُ فَقَدِ
يَحْقَهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَتَتَبِعُهُ مِثْلَ الزَّجَاجَةِ لَمْ تَكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ
فَحَسْبُوهُ فَالْفَوْهُ كَمَا حَسِبْتَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
فَكَمَلْتَ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتَهَا وَأَسْرَعْتَ حَسِبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدْدِ

وقال النابغة يخاطب النعمان ويقول
واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت^٨ إلى حمام شراع وارد الثمد^١

وقد ذكرها الأعرشي في قصيدته التي يقول فيها:
ما نظرت ذات أشفار كنظرتها
إذ قلبت مقلة ليست بكاذبة
قالت: أرى رجلا في كفه كتف
فكذبوها بما قالت فصبحهم
فاستنزلوا أهل جو من منازلهم
حقًا كما صدق الذئبي إذ سجعا^٩
إذ يرفع الآل (رأس الكلب) فارتفعا^٢
أو يخصف النعل، لهفي أيَّة صنعًا!^٢
ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا^٢
وهدموا شامخ البنيان فاتضعا^٢

١٧ المنتظم ٥١/٢..

١٨ طبقات فحول الشعراء لحمد بن سلام الجمعي/٥٤٨، وفي البدء والتاريخ ٣٠/٣ سراع، وقوله: شراع أي متماثلات، والثمد الماء القليل، والمعنى أن زمن الغزو في صيف قل فيه الماء.

١٩ أي اعجب من نظر زرقاء اليمامة كما يورث العجب صدق الكاهن سطيح الذي هو من بني ذئب بن عمرو بن مازن بن الأزد.

٢٠ أي أنها رأت من جبل يعرف برأس الكلب يقع بالقرب من اليمامة بالخرج. قال الهمداني لما صار حسان بالجيش في رأس الكلب رآته اليمامة فأندرت به وبينه وبينها أقل من ثلاث مراحل قال المسيب بن علس
رأت فوق رأس الكلب شخصا بكفه على البعد كنف أو خصيفة لاحم.

معجم ما استعجم ٦٢٣/٢

٢١ أي أنها رأت رجلا على مكان مرتفع وكأن في كفه كتف يأكله، أو أنه يصلح نعله، وذلك أن هذا الرجل أصيب بشوكة في قدمه فأخذ يعالجها بأضراسه ليخرجها.

٢٢ أي أن حسان بن أسعد أبو كرب الحميري الملك اليماني قتل جديسا لما كذبوها. وحسان ملك من من أول القرن الخامس إلى سنة ٤٢٠م تقريبا. مدينة الرياض/٢٥-٢٦.

٢٣ أي أنهم أفنوهم وأنزاهم من بلادهم جو الخضرمة = الخرج، وهدموا بنيانهم. وفي الأخبار الطوال/٢١: مُشْرِفَ البُنْيَانِ، وفي البدء والتاريخ ٢٩/٣: شاخص البنيان.

وفي البدء والتاريخ:

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذَوَالِ غَسَانَ يَزْجِي السَّمْرَ وَالسَّلْعَا^٤

وقال الأعشى أيضا:

وحال على جديس يوم من الدهر مستطار

وقال الحارث بن حلزة:

قيل لطسم أخوكم الأتباء

أم علينا جرى إياد كما

كما أشار زهير إلى القبيلتين البائدتين في قوله:

زال الهماليج بالفرسان واللجم

عهدي بهم يوم باب القريتين وقد

ترعى الخريف فأدنى دارها ظلم

فاستبدلت بعدنا داراً يمانية

كما وردت الإشارة إليهم في شعر النمر بن تولب العكلي^{٢٥}.

ومن أمثال العرب قول رؤبة: بوار طسم بيدي جديس^{٢٦}.

ويذكرها أبو العتاهية في قصيدته الوعظية التي يقول فيها:

بربع لا أرى لك فيه رسما

كأني بالتراب عليك ردماً

توزع بيننا قسماً فقسما

ألم تر أن أقسام المنايا

وأفنى قبلها إرما وطسما^٢

سيفينا الذي أفنى جديسا

وقد كان جذيمة الأبرش قد سار بجيشه لغزو اليمامة، فلما علم بفعل بفناء أهلها رجع وبقيت بقية من

جيشه فظفر بهم حسان بن تبع، فقتلهم فلما بلغ جذيمة الخبر قال فيهم^{٢٨}:

ربما أوفيت في عَلمٍ ترفعن ثوبي شمالات^٢

في فتوٍ أنا رائهم من كلال غزوة ماتوا^٣

ليت شعري ما أماتهم؟ نحن أدلجنا وهم ماتوا^٣

٢٤ البدء والتاريخ ٣/٣٠.

٢٥ المفصل ١/٣٣٨.

٢٦ لسان العرب مادة جدس.

٢٧ أبو العتاهية، أشعاره وأخباره ص ٣٥٧، عن الشعر الإسلامي في العصر العباسي الأول لعبدالله الجعثن، طبع سنة ١٤٠٣هـ، ص ١٠٤.

٢٨ طبقات فحول الشعراء لحمد بن سلام الجمحي /٣٧-٣٨.

٢٩ المعنى أنه من سياسته بجيشه يختار لهم مكانا عاليا حين البيات بحيث تحرك الريح الباردة الشديدة أثوابه.

٣٠ أي أن جيشه فتیان وهو الذي يحفظهم ويحرسهم إذا سكنوا وارتاحوا بعد الغزو.

فلما أباد ملك اليمن جديساً، رحل نحو العراق يريد كيخسرو، وزحف إليه كيخسرو، فالتقوا، فقتل ذو جيشان، وانفضت جموعه^{٣٢}.

وبسبب هذه الحادثة بادت قبيلتا جديس وطسم كقوة وحيدة في المنطقة و يقال أنه بقي منهم بقايا اندمجوا في غيرهم، ومنهم أناس يعرفون بالصعافقة يمتنون الفلاحة^{٣٣}.

فمما تقدم نستنج أن تشكيك بعض الباحثين في وجود قبيلتي طسم وجديس، غير صحيح، لأمر:

- ١- إطباق المؤرخين على ذكر تفصيل قصتهم والاختلاف اليسير بينهم لا يدل على اختلاقها.
- ٢- ورود إشارات إلى قصتهم في أشعار العرب كما تقدم.
- ٣- وجود نص يوناني وجد في صلخد مؤرخ في سنة ٣٢٢م وفيه جملة: (أنعم طسم)، فقد يكون إشارة إلى القبيلة العربية البائدة^{٣٤}.

٤- وجود بعض البنايات القديمة الضخمة إلى قرون متأخرة، والتي وصفها الهمداني وغيره، ومن آخرها القصر الموجود في سدوس إلى وقت قريب وبقي منه عمود ضخم وصفه بعض الرحالة، ثم هدمه الأهالي لكثرة زائريه من الأوروبيين. وحصن المشقر المذكور في أشعارهم، وهو من بناء طسم فيما ذكروا، وقد أشار الشاعر الأموي يزيد بن مفرغ الحميري في هجائه لعباد بن زياد عامل سجستان لمعاوية رضي الله عنه، وذلك في قوله:

وشريت بردا، ليتني من بعد برد كنت هامة

هامة تدعو صدئ بين المشقر واليمامة

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة^٣

٥- أن عبيد بن ثعلبة الحنفي لما ظعن بأهله إلى نجد، فرأى راع لعبيد من أهل اليمن اسمه زبيد، حجرا، وأتى بشيء من ثمرها إلى عبيد، فقدم عبيد بأهله فرأى قصورا خالية وبساتين خاوية فاحتجر منها ثلاثين قصرا وثلاثين حديقة فسميت حجرا^{٣٦}، وقال في ذلك:

حللنا بدار كان فيها أنيسها فبادوا وخلوا ذات شيد حُصونها

فصاروا قطينا للفلاة بغيرية رميما وصرنا في الديار قطينها

٣١ يتعجب من القدر، كيف أن بعض الجيش تخلف للبيات دون بقية الجيش الذين سبقوهم وساروا في الليل، فحصل عليهم ما حصل من قتل.

٣٢ الأخبار الطوال ٢٠-٢١.

٣٣ مدينة الرياض / ٢٧.

٣٤ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ٣٣٥.

٣٥ طبقات فحول الشعراء لحمد بن سلام الجمعي / ٦٨٨-٦٨٩.

٣٦ معجم البلدان رسم حجر.

٦- قال ابن الأثير: وحدثني التوزي عن أبي عبيدة والأصمعي عن أبي عمرو قال: قال لي رجل من أهل القريتين: أصبت ههنا دراهم، وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق، من بقايا طسم وجديس، فخفت السلطان فأخفيتهما.

٧- قال الهمداني في سياق حديثه عن حجر: وهي حصون طسم وجديس وفيها آثارهم وحصونهم وبتلهم الواحد بتيل^{٣٧} وهو من^{٣٨} مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين قال أبو مالك: لحقت منها بناء طوله مئتا ذراع في السماء قال وقيل كان منها ما طوله خمسمائة ذراع من أحدها نظرت زرقاء اليمامة إلى من نزل من جوجان من رأس الدام مسيرة يومين وليلتين.

٨- ويذكر جرجي زيدان أن طسما هو لطوشيم القبيلة العربية المذكورة في التوراة^{٣٩}.

٩- وقد ورد ذكر قبائل شرقي بلاد العرب قبيلة Jodistae، وهي جديس^{٤٠}.

كما أنه لا يمكن أن تبنى قبيلة ضخمة بسبب حرب واحدة، ولكنها سبب من أسباب فنائها إذ من المعلوم أن انتشار الجثث مسبب للأمراض والأوبئة، إضافة إلى أن قتل الرجال المكتسبين سبب لجوع الصغار والنساء والضعفة. كما أن ياقوت الحموي ذكر أن ملك اليمن بعد المعركة سبي النساء والصغار، وهو أمر معروف في شرع أهل الجاهلية.

وأخيرا، لا يدل وجودهم وصحة أخبارهم في الجملة على أن كل تفاصيلها صحيحة، إذ مبالغت الرواة واضحة للعيان، وكذلك الشعر المذكور على ألسنة أصحاب القصة بلغة عربية فصيحة، لا شك في اختلاقه، ولكن الرواة قد يضعون الشعر في القصص لكون العرب تطرب للشعر، ولأن الشعر يحفظ القصة من النسيان الضياع. وأما الإنكار المطلق لأصل القصة فأمر مستبعد والله أعلم.

ولا بد من الإشارة إلى أن فائدة ذكر قصة فناء طسم وجديس معرفة السنن الكونية من سنن التمكين والنصر ونهاية الظالم ونصر المظلومين ولو بعد حين، كما قال تعالى: "أكفركم خير من أولائكم أم لكم براءة في الزبر"^{٤١}، وقال سبحانه: "وكذلك ننجي المؤمنين"^{٤٢}، وقال جل وعلا: "وهل نجازي إلا الكفور"^{٤٣}.

٣٧ يبدو أنه مكان للعبادة.

٣٨ أي شيء، واستعمال هن بمعنى شيء من فصيح العامي في بلاد العارض.

٣٩ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١/٣٣٥، عن الهلال جزء ٢٢، سنة ٥، حزيران ١٨٩٧م، صفحة ٧٧٦.

٤٠ العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان ٨٩/٩٠.

٤١ القمر/٤٣.

٤٢ الأنبياء/٨٨.

٤٣ سبأ/١٧.

فإفناء جديس لطمس بسبب ذنب ملكهم أمر غاية في الظلم، وقتل ملك اليمن لجميع قبيلة جديس ظلم آخر، وما من ظالم إلا ويبتلى بأظلم منه وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين.

المصادر والمراجع:

١. آثار البلاد وأخبار العباد للقسزويني
٢. الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) - ت. الدكتور عمر فاروق الطباع - دار الأرقم.
٣. البدء والتاريخ للمقدسي (ت ٥٠٧هـ) - مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد - مصر.
٤. تفسير الطبري - محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥هـ.
٥. تفسير القرآن العظيم - لإسماعيل بن عمر ابن كثير (ن ٧٧٤هـ) - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ.
٦. الجامع في أحكام القرآن - لأبي عبدالله القرطبي - دار الشعب - القاهرة.
٧. مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ - حمد الجاسر - دار الملك عبدالعزيز بالرياض.
٨. طبقات فحول الشعراء لحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) - تحقيق محمود شاكر - مطبعة المدني.
٩. معجم البلدان لياقوت الحموي.
١٠. معجم ما استعجم للبكري.
١١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د. جواد علي - الطبعة الثانية - ١٤١٣هـ.
١٢. المنتظم - لأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨هـ.
١٣. العرب قبل الإسلام - جرجي زيدان - دار مكتبة الحياة - بيروت.